رسائل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)
إلى الصحابي أبو عبيدة عامر بن الجراح (رضي الله عنه)

Caliph Omar bin al-Khattab messages (may Allah be (pleased with him
To Companion Abu Obaida (may Allah be pleased with (him

الدكتور
مصطفى فرحان عوض
الجامعة العراقية / كلية الشريعة

Doctor
Farhan Mustafa Awad
Iraqi University / College of Sharia

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

إن تاريخنا الإسلامي فيه من الكنوز التي تصلح لان تكون من منهاج لأمة ،وإن عثر على بعضها فالبعض الآخر لازال يبحث عن من يعثر عليه ،ليضعه أمام أعين القراء والباحثين، وجدت في هذا البحث الموسوم (رسائل الخليفة عمر بن الخطاب "رضي الله عنه ") إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح (رضي الله عنه) مجالا للبحث و التدقيق عن رسائل كتبت من الرعيل الأول للإسلام و منهم الخليفة عمر(رضي الله عنه) والتي كانت نصائح وخطط عسكرية ومواعظ ما أحوجنا في هذا الزمان إليها ،هذا مما دعاني إلى الكتابة في هذا الموضوع٠وكانت خطة البحث تعتمد على ذكر نص الرسالة ثم مناسبة الرسالة ثم القيام بتحليلها٠ تضمن التحليل ٠ توضيح المدلولات الفقهية و التاريخية واللغوية، لتوضيح مضمون هذه الرسائل، اعتمدت على كثير من المصادر التاريخية والفقهية واللغوية منها، تاريخ الأمم والملوك للإمام الشيخ والشيخ محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠) الذي أفدت منه كثيرا في الوقوف على الحوادث التاريخية التي جرت في تلك الفترة وكذلك كتاب لسلن العرب، ومختار الصحاح من الكتب الأخرى٠ ثم كانت الخاتمة التي ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها ثم قائمة بالمصادر و المراجع.

اسأل الله أن يكون هذا العمل خالصا لوجه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير.

الرسالة الأولى

« أوصيك بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه، الذي هدانا من الضلالة وأخرجنا من الظلمات إلى النور.

وقد استعملتك على جند خالد بن الوليد، فقم بأمرهم الذي يحق عليك، لا تقدم المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة، ولا تُنزلهم منزلاً قبل أن تستريده [1]

(1) الرائد : الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث ، وقد راد أهله منزلاً وكلأ ، وراد لهم ، وارتاد ، واستراد. ينظر: تاج العروس: ١٢٨/٨.

لهم ، وتعلم كيف مأتاه، ولا تبعث سرية إلا في كثف [٢] من الناس، وإياك وإلقاء المسلمين في الهلكة، وقد أبلاك [٣] الله بي وأبلاني بك، فغمض بصرك عن الدنيا، وألله قلبك عنها، وإياك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك، فقد رأيت مصارعهم)).[٤]

مناسبة الرسالة:

كان عمر (رضي الله عنه) قبل أن يلي الخلافة غاضباً على خالد بن الوليد.

وسبب ذلك أن خالداً سار لقتال المرتدين بأمرٍ من أبي بكر (رضي الله عنه) وكان على المرتدين (مالك بن نويرة).

ولما قدم خالد البطاح بث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام أن يأتوه بكل من لم يجب وإن امتنع أن يقتلوه، وكان مما أوصى به أبو بكر إذا نزلتم منزلاً فأذنوا وأقيموا، فإن أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم، وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة، ثم اقتلوهم كل قتلة الحرق فما سواه، وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم، فإن أقروا بالزكاة فاقبلوا منهم وإن أبوها فلا شيء إلا الغارة.

فجاءته الخيل بمالك بن نويرة ومعه نفر من بني ثعلبة بن يربوع. فاختلفت السرية فيهم، وفيهم أبو قتادة فكان فيمن شهد أنهم قد أذنوا وأقاموا وصلوا، فلما اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا في ليلة باردة، وجعلت تزداد برداً

---

(٢) السرية : قطعة من الجيش . الكثف : الجماعة. ينظر : ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور المصري (ت ٧١١هـ – ١٣١١م) ، لسان العرب ، دار صادر، بيروت للطباعة والنشر ، ط١ (١٣٧٥هـ ، ٣٨٣/٤

(٣) أبلاه : امتحنه كابتلاه . ينظر: لسان العرب: ٨٤/١٤

(٤)الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت٣١٠هـ – ٩٢٢م) ، التاريخ ، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) ، ٤ /٥٤

فأمر خالد منادياً، فنادى أدفئوا أسراكم وكانت في لغة كنانة، إذ قالوا دثروا الرجل فأدفئوه بمعنى اقتلوه، فظن القوم أنه أراد القتل فقتلوهم، قتل ضرار بن الأزور مالكاً وسمع خالد الواعية، فخرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمرا أصابه.

فاختلف القوم فيهم. فقال أبو قتادة: هذا عملك. فنهره خالد بن الوليد، فغضب ومضى حتى أتى أبا بكر(رضي الله عنه)

ثم تزوج خالد بن الوليد أم تميم ابنة المنهال، امرأة مالك بن نويرة، وتركها لينقضي طهرها.

وقد ألح عمر (رضي الله عنه) على أبي بكر أن يعزل خالد، فلم يقبل، وقال كيف أغمد سيفاً سله الله على الكافرين وأعطى دية مالك. وكتب إلى خالد أن يقدم عليه، ولما قدم خالد ودخل المسجد قام إليه عمر، وقال له: قتلت مسلماً ثم نزوت على امرأته، والله لأرجمنك بأحجارك – وخالد لا يكلمه حتى دخل على أبي بكر. فأخبره الخبر اعتذر إليه فأعذره. فلما ولى عمر الخلافة عزله عن قيادة جند الشام وولى أبا عبيدة مسؤولية الجيش فكتب له هذه الرسالة.[٥]

التحليل :

١ – ابتدأ الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هذه الرسالة بالنصيحة، ومن المعلوم أن للنصيحة أثر كبير في نفوس الناس. وقد أكد الرسول (صلى الله عليه وسلم) على هذا المعنى فقال: « الدين النصيحة، قيل: لمن يا رسول الله ؟ قال: لله ، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة وجماعة المسلمين.[٦]

(٥) تاريخ الطبري . ج ٤ – ٢٤ .

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه: ١ /٧٤

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمسي ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم ». [٧]

وللفقهاء في حكم النصيحة مذهبان:

المذهب الأول : هي فرض عين طلبت منك أولاً ، هذا ما ذهب إليه الغزالي ، ورجحه كثير من جمهور العلماء.[٨]

المذهب الثاني : هي فرض كفاية ، قال ذلك ابن العربي، وابن بطال.[٩]

٢ – الخليفة عمر بن الخطاب أوصى أبو عبيده بن الجراح بوصايا عظيمة.

لم يعده بمنزلة عظيمة وشأن كبير، أو أنه سيقلد منصباً أعلى وغير ذلك. وإنما أوصاه بتقوى الله الباقي والذي يفنى ما سواه. والتقوى أمر أكد عليه القرآن الكريم، والرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:﴿ الرَّعۡدِ إِبۡرَٰهِيمَ

([٧]) الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧) ، مجمع الزوائد، دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ، بيروت ، ١ / ٨٧ .

([٨]) ينظر: الهيثمي – أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي (ت ٩٧٤ هـ) ، الزواجر عن اقتراف الكبائر ، دار المعرفة ، بيروت: ٣٩٧/١.

([٩]) العدوي، علي الصعيدي العدوي المالكي ، حاشية العدوي ، تحقيق الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ، ٢ / ٥٥٥ – ٥٦١ . وينظر: تعريف النصيحة وأقسامها وكيفيتها وأحكامها... في بحث للدكتور سليمان الخلف، منشور في مجلة كلية الإمام الأعظم، العدد الثامن، أيلول ٢٠٠٩.

الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ ﴾ [١٠] وقال صلى الله عليه وسلم لابن عباس: « يا بني أني أعلمك كلمات. أحفظ الله يحفظك... ». [١١]

وقال صلى الله عليه وسلم: « لِيَقِ أحدكم وَجْهَهُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لم يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ فَإِنِّي لَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الْفَاقَةَ فإن اللَّهَ نَاصِرُكُمْ وَمُعْطِيكُمْ حتى تَسِيرَ الظَّعِينَةُ فِيمَا بين يَثْرِبَ وَالْحِيرَةِ أَكْثَرَ ما تَخَافُ على مَطِيَّتِهَا السَّرَقَ...». [١٢] « وأن الله تعالى الذي أوصيك بتقواه هو الذي هدانا إلى طريق الحق بعد أن أخرجنا من الظلمات إلى النور».

٣ – أمر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) القائد أبا عبيدة بعد أن عينه بدلاً من خالد بن الوليد قائداً على جنده، أن يتولى أمور هذا الجيش. ومن المعلوم أن تولي القائد للجند يحتم عليه مسؤولية كبيرة أمام الله تعالى وأمام الخليفة. فهو المسؤول الأول عن كل احتياجاتهم من المؤونة والعدة والسهر على راحتهم، ودليل ذلك ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم: « كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته... ». [١٣] .

٤ – ومن وصايا الخليفة للقائد، هو أن يحافظ على المسلمين وأن لا يزجهم ويؤدي بهم إلى التهلكة من أجل الحصول على الغنيمة، فالأصل في القتال هو ليس للحصول على الغنائم، وإنما لتحرير البلاد من المشركين. ونشر

([١٠]) سورة الطلاق ، جزء من الآية ٢ .

([١١]) الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي (ت٢٧٩هـ – ٨٩٢م) ، سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د،ت) ، ٦٦٧/٤ رقم الحديث (٢٥١٦) . قال أبو عِيسَى هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إلا من حديث سِمَاكِ بن حَرْبٍ

([١٢])البخاري ، صحيح البخاري كتاب العلم ، باب من جعل لأهل العلم أيام مخصوصة ، المكتب الإسلامي ، إسطنبول، ١٣٩٩هـ ، ١ / ١٩٠.

([١٣]) صحيح البخاري: ٥/٢ رقم الحديث (٨٩٣).

الاسلام في المعمورة. وليس كما يفعل بعض القادة في تاريخنا المعاصر، همهم الحصول على الرتب العليا والمنافع الشخصية، وحماية أنفسهم وأنظمتهم، حتى ولو هلك الناس جميعاً.

٥ – وينصحه بعدم النزول في أي مكان الا بعد التأكد من وجود مستلزمات المعركة. ومن وسائل هذا الاستطلاع عن الأماكن المتوفر فيها الماء ومساقط الغيث.

وهذه من العوامل المهمة في كسب المعركة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في غزواته جميعها يراعي هذا، فمثلاً في غزوة بدر، تحرك الرسول صلى الله عليه وسلم ليسبق المشركين إلى ماء بدر ويحول بينهم وبين الاستيلاء عليه، فنزل عشاء أدنى ماء من مياه بدر. وهنا قام الحباب بن المنذر كخبير عسكري وقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكم الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة، قال: « بل هو الرأي والحرب والمكيدة ». قال: يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم – قريش – فننزله ونغور – أي نخرب – ما وراءه من القلب – ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون – فقال صلى الله عليه وسلم: « لقد أشرت بالرأي ».[١٤]

٦ – أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه القائد أبا عبيدة بن الجراح أن يلتزم بالجماعة فلا يبعث سرية للاستطلاع إلا في جماعة. وفي هذا أمران:

الأمر الأول: إرسال السرايا لغرض الاستطلاع، وهذا من الأمور المهمة في المعارك، فجمع المعلومات، والتأكد من طبيعة الأرض والطرق،

(١٤) المباركفوري ، الرحيق المختوم، صفي الرحمن – شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، ص ١٨٢.

وعدد أفراد العدو وعدتهم عوامل مهمة في تحقيق النصر. والدليل على ذلك ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم، قبل غزوة بدر حيث أرسل عدة سرايا وقاموا بحركات عسكرية، وعقدوا المعاهدات مع القبائل، وأشعروا مشركي يثرب ويهودها بأن المسلمين أقوياء. ومنها مثلاً سرية سيف البحر، وسرية رابغ وسرية الخرار وغيرها.[١٥]

الأمر الثاني: التأكيد على الجماعة في إرسال هذه السرايا. وذلك لإرهاب العدو وبيان قوة المسلمين. ويؤكد هذا المفهوم ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية كقوله تعالى: ﴿ٱلۡعَظِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ ﴾ [١٦] وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: « عليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية ».[١٧]

٧ – أوصى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أبا عبيدة عامر بن الجراح. بأن يصرف نظره عن الدنيا. فإن الدنيا تُهلك من كانت همه.

الأصل في الدنيا نيل الفلاح يوم القيامة، فالدنيا وسيلة عبور للوصول إلى الآخرة. فمن شغل نفسه بالدنيا وترك الآخرة لم يحصل على الدنيا ولا الآخرة. وقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة ما يؤيد ذلك.

---

(١٥) المصدر نفسه ، ص: ١٧١.

(١٦) سورة آل عمران ، الآية ١٠٣.

(١٧)الزيلعي ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت ٧٦٢هـ) ، نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي ، تحقيق : محمد عوامة ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، ٢٤/٢. قال الزيلعي: " أخرجه أبو داود والنسائي، قال النووي إسناده صحيح ذكره في الخلاصة

قال تعالى: ﴿ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَىٰ الزُّخْرُفِ ﴾ (١٨)

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » (١٩)

وقال الإمام علي رضي الله عنه: [اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لأخرتك كأنك تموت غداً] (٢٠) ومن طلب الدنيا أهلكته فقد أهلكت أقواماً كثيرة من قبلنا.

الرسالة الثانية

«من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

فإن أبا بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ورحمة الله وبركاته على أبي بكر الصديق العامل(٢١) بالحق، والآمر بالقسط (٢٢)، والآخذ بالعرف، اللين الستير الوادع ، السهل القريب الحكيم، نحتسب مصيبتنا فيه ومصيبة المسلمين عامة عند الله تعالى،

---

(١٨) سورة آل عمران ، من الآية ١٨٥ .

(١٩) النيسابوري ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت ٢٦١هـ) ،صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ٢٢٧٢/٤(٢٩٥٦).

(٢٠) في مسند الحارث (زوائد الهيثمي) ٩٨٣/٢ (١٠٩٣) يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وبلفظ احرز أو احرث...

(٢١) في فتوح الشام ((القائل)). الواقدي ، حمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (ت : ٢٠٧هـ)، فتوح الشام ، ط١ ١٤١٧هـ ، دار الكتب العلمية.

(٢٢) القسط : العدل. ينظر : لسان العرب : ٣٧٧/٧

وإنا نرغب إلى الله في العصمة برحمته من كل معصية، ونسأله العمل بطاعته ما أحيانا، والحلول في جنته إذا توفانا، إنه على كل شيء قدير.

وقد بلغنا حصاركم لأهل دمشق، وقد وليتك جماعة المسلمين فبث سراياك[٢٣] في نواحي أهل حمص ودمشق وما سواها من أرض الشام، وانظر في ذلك برأيك، ومن حضرك من المسلمين، ولا يحملنك قولي هذا على أن تغري عسكرك فيطمع فيك عدوك ، ولكن من استغنيت عنه فسيره، ومن احتجت إليه في حصارك فاحتبسه، وليكن فيمن يحتبس خالد بن الوليد، فإنه لا غنى بك عنه، والسلام عليك ورحمة الله).[٢٤]

مناسبة الرسالة:

عندما توفي أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وكان خالد بن الوليد رحمه الله على حصار دمشق، كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي عبيدة هذه الرسالة ينعى أبا بكر، ويعزل خالد بن الوليد ويولي أبا عبيدة مكانه لقيادة الجيش.[٢٥]

التحليل :

١ – ابتدأت الرسالة بحمد الله؛ اقتداء بما كان يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم، حينما يكتب رسالة أو يبدأ بخطبة يبدأها بالحمد والثناء.[٢٦]

٢ – أخبر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا عبيدة، بوفاة الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وذكر له الأسلوب الشرعي والصحيح في كيفية استقبال الحدث. فأخبره بأن كل واحد سيموت والله وحده هو الباقي. فكلنا لله وكلنا إليه راجعون.

---

(٢٣) جمع سرية كغنية: وهي القطعة من الجيش. ينظر : لسان العرب ٣٨٣/٤

(٢٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ، ١ /١٥١ فتوح الشام ، ص٨٦.

(٢٥) تهذيب ابن عساكر ، ١ / ١٥١.

(٢٦) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ٢/ ٢٩.

٣ – ذكر لـه ضمن الخبر بعض الخصائص التي كان يمتاز بها الخليفة أبو بكر رضي الله عنه، ومنها: –

آ – أنه كان يعمل بالحق: وهذه من الخصائص التي كان يتحلى بها الصحابة جميعاً رضي الله عنهم. فلا يقولون إلا الحق. وقد أكد القرآن الكريم على ذلك قال تعالى:﴿ الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ ﴾ [٢٧] ووصف المنافقين بأنهم لا يقبلون بالحق قال تعالى: ﴿ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ ﴾ [٢٨] فتأكيد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على هذه الخصلة العظيمة عند أبي بكر رضي الله عنه، هو توجيه لكل القادة على الاقتداء بمثله في كل أمور حياتهم.

ب – أنه كان يأمر بالعدل: وهذه من خصائص الصحابة رضي الله عنهم جميعاً فهم يحكمون بالعدل ولا يظلمون أحداً فالكل عندهم سواسية، وقد استمدوا ذلك مما ورد من آيات كثيرة وأحاديث نبوية في هذا المجال . قال تعـــالى: ﴿ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ ﴾ [٢٩] هذه الدلائل جعلت الخليفة أبي بكر الصديق(رضي الله عنه) وغيره يحكمون بالعدل ولذلك سادت دولة الاسلام. وكأن الخليفة أراد أن يوجه رسالة إلى أبي عبيدة أنه عليك الحكم بالعدل دون التمييز بين أحدٍ.

جـ – من الخصال الأخرى أنه كان يأخذ بالأمر السهل الممكن التحقيق بعيداً عن الأماني التي ربما لا تحقق. وهذه سمة نبينا العظيم ، وهو الأخذ بأيسر الأمور بعيداً عن التكلف، حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم، إذا

([٢٧]) سورة آل عمران، الآية ٦٠.

([٢٨]) سورة المؤمنون ، الآية (٧٠) .

([٢٩]) سورة النساء : الآية (٥٨) .

ما خير بين أمرين اختار أيسرهما. وقال صلى الله عليه وسلم: « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا، فإنما بعثتم مبشرين لا منفرين. . . ». [٣٠] ويمكن الإشارة إلى أن هذه احد الاستراتيجيات العسكرية الحديثة التي تدرس في الأكاديميات العسكرية العالمية ،« في أن يكون أمر القائد قابل للتنفيذ وليس تعجيزياً »

٣ – أكد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على مسألة مهمة وهي الاحتساب عند المصيبة فقد أحتسب هذه المصيبة في أبي بكر وأحتسب مصيبة المسلمين جميعاً إلى الله تعالى. فكأنه أراد أن يوجه أبا عبيدة بأنه إذا ما حدثت لك مصيبة مثل هذه المصيبة وأنت في المعركة فوكل الأمر وأحتسبه إلى الله. فهو الذي أراد ذلك ولا تجزع وأصبر عليه. قال تعالى:﴿ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ ﴾ [٣١]

هذه بعض الأسس والقواعد السليمة التي كان الصحابة رضي الله عنهم يسيرون عليها .

٤ – تضمنت هذه الرسالة مجموعة من الأدعية. منها أن الخليفة سأل الله تعالى أن يعصمه من كل معصية، والدعاء إلى الله للعمل بطاعته طالما بقي على قيد الحياة ، ويسأله الجنة إذا توفاه الله. والملاحظ أن الدعاء من الأمور المهمة في حياة المسلم حيث كان له الأثر الكبير في كثير من انتصارات المسلمين. ففي غزوة بدر دعا الرسول صلى الله عليه وسلم، الله بالنصرِ فكتبه له حيث قال: « اللهم إن لم تنصر ». [٣٢]

---

(٣٠) صحيح مسلم: ١٣٥٨/٣ رقم الحديث (٦٩) .

(٣١) سورة البقرة : الآية: ١٥٦.

(٣٢) صحيح البخاري: ٧٣/٥.

ووصف الله تعالى المؤمنين بقوله:﴿ ﴾[٣٣] والدلائل كثيرة على ذلك.

فكأنه أراد أن يوصل رسالة إلى أبي عبيدة بأنه عليك أن لا تترك الدعاء فهو سبب من أسباب انتصارك في المعارك.

٥ – ولى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قيادة الجيش إلى أبي عبيدة ابن الجراح بدلاً من خالد بن الوليد. ورسم له خارطة المعركة على النحو الآتي .

آ – أن ينشر سرايا الجيش في نواحي حمص ودمشق وبقية أرض الشام وهذه من الخطط العسكرية المهمة في المعركة التي تدل على رؤية ثاقبة للخليفة فبدلاً من أن يتمركز الجيش في مكان واحد أمره بانتشار هذا الجيش في أماكن مختلفة، وأن يرسل السرايا لغرض الاستطلاع قبل المعركة وهذا أسلوب استخدمه الرسول صلى الله عليه وسلم في معظم الغزوات.

ففي غزوة بدر أرسل عدة سرايا قبل الغزوة؛ ليستطلع عدد المشركين وقوتهم من سلاح ومؤونة وغير ذلك كما في سرية رابغ والخرار وغيرها. [٣٤]

ب – خول الخليفة رضي الله عنه أبا عبيدة. بأن يأخذ برأيه ورأي المسلمين ممن معه وحسب ما يراه مناسباً ، وفي هذا دلائل كثيرة منها أن القائد في المعركة هو أعلم من غيره في مجريات الأمور. وكذلك إعطاء الثقة له وتقدير الموقف بالاستشارة مع من حوله من المسلمين.

جـ – هذا التخويل مشروط بأن لا يغري الجند فيؤدي ذلك إلى نتيجة عكسية وهو أن يطمع العدو فيه.

([٣٣]) سورة فصلت ، الآية: ٣٣.

([٣٤]) الرحيق المختوم .

د – طلب منه أخذ ما يحتاجه من المسلمين في حصاره للمدينة وأن يرجع ممن هو لا حاجة له فيه. وفي هذا دلائل منها أنه من المعروف أن الجيش يحتاج إلى مصاريف من العدة والمؤونة وغير ذلك، فكثرة أعداد الجيش بدون حاجة له تؤدي إلى إرهاق ميزانية الدولة. فكانت رؤية الخليفة رؤية ثاقبة في هذا المجال.

هـ – عزل الخليفة للقائد خالد بن الوليد لا يعني أنه غير كفوء أو أنه غير موالي للخليفة، والدليل على ذلك أن الخليفة أمر أبا عبيدة بإبقائه معه في المعركة، وأخبره بأنه لا يمكن أن يستغني عنه لما له من خبرة في المعارك والحروب. على عكس ما يفعله الحكام اليوم، فالأصل في المنصب والقيادة عندهم هو مقدار الولاء والطاعة وليس الكفاءة والمقدره.

و – الغاية من كل هذه الإجراءات هو نصر المسلمين، وليس الموالاة لفلان أو فلان، ولذلك لم يغضب خالد بن الوليد على إقالته، وإنما ساهم وتعاون مع أبي عبيدة حتى تحقق النصر في المعركة وهذه هي سمة القائد الإسلامي الذي يجعل المصلحة العامة أسمى من الأهداف الخاصة.

وفي هذه الرسالة يبرز الخلق العالي والاحترام المتبادل بين القادة، فأبو عبيدة لم يسارع إلى إبلاغ خالد بالعزل إلا بعد انتهاء المعركة.

" قالوا فدفع ذلك الكتاب إلى خالد بن الوليد بعد فتح دمشق بنحو من عشرين ليلة فأقبل حتى دخل على أبي عبيدة، فقال: يغفر الله لك أتاك كتاب أمير المؤمنين بالولاية فلم تعلمني وأنت تصلي خلفي، والسلطان سلطانك، فقال أبو عبيدة: وأنت يغفر الله لك ما كنت لأعلمك ذلك حتى تعلمه من عند غيري، وما كنت لأكسر عليك حربك حتى ينقضي ذلك كله، ثم قد كنت أعلمك إن شاء الله وما سلطان الدنيا أريد وما للدنيا أعمل، وإن ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع، وإنما نحن إخوان وقوام بأمر الله عز وجل، وما يضر الرجل أن يلي عليه أخوه في دينه ولا دنياه بل يعلم الوالي أنه يكاد أن يكون أدناهما إلى الفتنة

وأوقعهما في الخطيئة لما يعرض من الهلكة إلا من عصم الله عز وجل وقليل ما هم، ودفع أبو عبيدة عند ذلك إلى خالد بن الوليد الكتاب.

قال أبو حذيفة وولي أبو عبيدة حصار دمشق وولي خالد بن الوليد القتال على باب الشرقي وولاه الخيل إذا كان يوم يجتمع المسلمون فيه للقتال فحاصروا دمشق بعد هلاك أبي بكر حولا كاملاً وأياماً، وإنه لما طال على صاحب دمشق انتظار مدد قيصر رأى المسلمين لا يزدادون إلا كثرة وقوة وأنهم لا يفارقونه، أقبل يبعث إلى أبي عبيدة يسأله الصلح، وكان أبو عبيدة أحب إلى الروم وسكان الشام من خالد بن الوليد، فكان أن يكون الكتاب منه أحب إليهم وكان اكتبهما وأقربهما منهم قرباً، وكان قد بلغهم أنه أقدمهما هجرة وإسلاماً فكانت رسل صاحب دمشق إنما تأتي أبا عبيدة وخالد يلح على أهل الباب فأرسل صاحب دمشق إلى أبي عبيدة فصالحه. " [٣٥]

الرسالة الثالثة

« أما بعد، فابدءوا بدمشق فانهدوا لها، فإنها حصن الشام، وبيت مملكتهم، واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بإزائهم في نحورهم، وأهل فلسطين وأهل حمص، فإن فتحها الله قبل دمشق فذاك الذي نحب، وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق فلينزل بدمشق من يمسك بها، ودعوها وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تغيروا على فحل، فإن فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حمص، ودع شرحبيل وعمراً وأخلهما بالأردن وفلسطين، وأمير كل بلد وجند على الناس حتى يخرجوا من إمارته». [٣٦]

([٣٥])ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم الدمشقي المشهور بابن عساكر (ت٥٧١هـ) ، تاريخ مدينة دمشق المعروف بـ(تاريخ ابن عساكر) ، تحقيق : نشاط غراوي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، دار الفكر ، دمشق ، (١٤٠٤هـ) ، ١٢٦/٢.

([٣٦]) تاريخ الطبري ٤ /٥٧.

مناسبة الرسالة:

بعد أن انتصر المسلمون في معركة (اليرموك) وصلت المعلومات إلى أبي عبيدة بأن الروم تجمعوا في منطقة اسمها (فحل) وأن الإمدادات جاءت إلى دمشق من مدينة حمص، فكتب أبو عبيدة هذه الرسالة يستشير فيها الخليفة عمر رضي الله عنه، هل يبدأ بقتال الذين تجمعوا بمدينة (فحل) أم يبدأ بقتال أهل دمشق.[٣٧]

التحليل :

في هذه الرسالة خطة عسكرية

١ – القائد يستشير القائد الأعلى. فقد استشار أبو عبيدة الخليفة في الأولويات هل يبدأ بفحل أو بدمشق. وهذا أحد أسباب انتصار المسلمين في معاركهم. وقد يكون رأي القائد مطابقاً لما يراه الخليفة، ولكن مبدأ الشورى من المبادئ العظيمة في الإسلام.

وهنا يرسم الخليفة لقائده الخطة، فقال له أنهض لقتال أهل دمشق، وابدأ بها قبل غيرها، ويمكن أن يكون ذلك لأن دمشق من المدن الرئيسة وهي حصن الشام، وكأنه يقول إن السيطرة على العاصمة تعني السيطرة على باقي البلدان. فهي مركز القوافل والتجارة والإدارة والحكومة.

٢– الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وضع خطة كاملة للقائد وكما هو معروف عنه بالحنكة والبصيرة. فأمر القائد أبا عبيدة أن يشاغل أهل (فحل) وهذا أسلوب رائع في المعارك. فإنه في الوقت الذي يقاتل أهل دمشق يجهز الخيل وعدد من الفرسان وظيفتهم إشغال أهل فحل، وربما قتالهم فإذا كان النصر قد كتبه الله عليهم بتحرير (فحل) قبل مدينة دمشق فهذا هو المطلوب والذي يحبه ويريده الخليفة. وإذا تأخر فتح مدينة (فحل). فأكمل فتح

(٣٧) المصدر نفسه: ٥٧/٤.

دمشق، فإذا فتحها الله لك اجعل فيها من يمسك بزمام الأمور ، ويثبت تحريرها. ثم اذهب أيها القائد ومن معك من الأمراء حتى تغيروا على فحل وتحرروها.

٣– في حالة نصر الله بفتح (فحل). اذهب أنت يا أبا عبيدة ومعك خالد بن الوليد إلى (حمص). ودع شرحبيل وعمر في الأردن وفلسطين.

وهكذا لم يكتف المسلمون بفتح دمشق وما حولها، بل توجهوا إلى الأردن وفلسطين، وهذا من حسن التدبير، فإن القوة في بلد مجاور يمكن أن تكون مصدر خطر وإزعاج من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يكن هدف المسلمين الحصول على المكاسب والغنائم الدنيوية، بل نشر الإسلام بالدرجة الأولى؛ بدليل أنهم كانوا يقبلون الصلح ممن يصالحهم. وفيه إشارة إلى التزام القادة بتوصيات الأمراء فكان النصر حليفهم.[٣٨]

الرسالة الرابعة

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن كتابك جاءني بنفيرالروم إليك، ومنزلهم الذي نزلوا به، ورسالتهم التي أرسلوا، وبالذي رجعت إليهم فيما سألوك، وقد سددت بحجتك، وأوتيت رشدك، فإن أتاك كتابي هذا وأنتم الغالبون، فكثيراً ما نذكر من ربنا الإحسان إلينا وإليكم، وإن أتاكم وقد أصابكم نكب[٣٩] ، أو قرح فلا تهنوا ولا تحزنوا ولا تستكينوا، فإنكم الأعلون، وإنها دار الله، وهو فاتحها عليكم تصديقاً من قول نبينا صلى الله عليه وسلم [٤٠] فاصبروا إن الله مع الصابرين.

([٣٨])صفوت ، احمد زكي ، جمهرة رسائل العرب ، المكتبة العلمية. ١ / ١٠٠.

([٣٩]) النكب والنكبة: المصيبة. القرح: الجرح وعض السلاح ونحوه. وهن يهن: ضعف. ينظر : لسان العرب : ٧٧٢/١

([٤٠]) جاء في سيرة ابن هشام في الكلام في غزوة الخندق ، ٢ /١٥٨. ((قال ابن إسحاق : وحدثت عن سلمان الفارسي انه قال : ضربت في ناحية من الخندق فغلظت على صخرة ، رسول الله

واعلم أنك متى ما لقيت عدوك، فاستعنت بالله عليهم، وعلم منك الصدق، نصرك عليهم، فقل إذا أنت لقيتهم: اللهم إنك الناصر لدينك، والمعز لأوليائك قديماً وحديثاً، اللهم فتول نصرهم، وأظهر فلجهم[٤١] ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، وكن الصانع لهم ، والدافع عنهم برحمتك، إنك الولي الحميد)).[٤٢]

مناسبة الرسالة: -

كتب أبو عبيدة بن الجراح رسالة إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوضح له أن الروم قد عززوا وجودهم في منطقة فحل، وشرح له فيها بأنه سينهض عليهم ليقاتلهم بعد أن يتوكل على الله [٤٣]

فأجابه عمر بن الخطاب بهذه الرسالة.

التحليل : -

صلى الله عليه وسلم قريب مني ، فلما رآني اضرب ورأى شدة المكان عليّ ، نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة (والبرقة بالضم ذات حجارة وتراب وحجارتها الغالب عليها البياض وفيها حجارة حمر وسود). ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى . قال: قلت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما هذا الذي رأيت يلمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أو قد رأيت ذلك يا سلمان ؟ قلت : نعم قال : أما الأولى فإن الله فتح بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح عليّ بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتح بها المشرق. المعافري ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) ، السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

([٤١]) الفلج: الظفر والفوز. ينظر : لسان العرب : ٣٤٧/٣

([٤٢]) فتوح الشام ، ص١١١.

([٤٣]) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .

١. رسالة أبي عبيدة فيها إشارة إلى التواصل الوثيق بين القائد الميداني والقائد العام. وبدء الرسالة بالحمد فيه إشارة إلى ضرورة الاتصال الدائم مع الله والإذعان له في كل شيء.

٢- بعد دراسة خطة القائد الميداني، أيدها القائد العام، وهو الخليفة رضي الله عنه، وذكر أنها حجة بالغة ورأي سديد، واعلمه بأنه قد فعل ما يستوجب أن يقوم به القائد المسلم. وهذا يدل على صواب رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما اختار أبا عبيدة قائداً لمثل هكذا معارك.

٣- أكد الخليفة (رضي الله عنه) للقائد أبي عبيدة، بأنه وجنده هم الغالبون. وهذه دلالة على اليقين المطلق بنصر الله لعباده الصادقين، فمتى ما كان الإنسان متوكلاً موقناً بنصر الله مع الأخذ بأسباب النصر، كان النصر حليفه.

٤- طلب الخليفة من القائد في حالة أصابتهم النكبة والمصيبة أن لا يحزنوا ولا يستكينوا، فهم الأعلون. انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾ [٤٤] وكذلك قوله تعالى في وصف المؤمنين ﴿ ٱلرَّجِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ ﴾ [٤٥] .

٥ – اليقين الصادق والقوي عند الخليفة. حيث أن هذه الدار التي يقاتل بها المسلمون هي دار الله. وهو الذي سيفتحها على المسلمين. حسب وصية الرسول صلى الله عليه وسلم : « واصبروا إن الله مع الصابرين ». [٤٦]

وموضوع الصبر من المواضيع التي ينبغي علينا تناولها في مثل هذا المقام:

---

(٤٤) سورة آل عمران : آية (١٣٩) .

(٤٥) سورة البقرة : آية (١٥٦) .

(٤٦) صحيح مسلم : ١٣٦٢/٣ .

أكد القرآن الكريم في آيات كثيرة على مفهوم الصبر وأهميته قال تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴿ ﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **صدق الله العظيم** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ ﴾ (٤٧).

وللفقهاء آراء في معنى الصبر، منها:

آ – هو واجب: والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ يَسْتَبِقُونَ الصَّافَّاتِ ﴾ الزُّمَرِ ﴾ [٤٨] وقال تعالى: ﴿ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ ﴾ [٤٩].

ب– النهي عن ضده: قال تعالى : ﴿ الطُّوَلِ الْبَحْرَ الْقَمَرَ ﴾ [٥٠] وقال تعالى: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ [٥١]، وقال تعالى: ﴿ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يَسْتَبِقُونَ الصَّافَّاتِ الزُّمَرِ ﴾ [٥٢]، وضرب الله لنا عن نبيه أيوب (عليه السلام) المثل في الصبر فقال: ﴿ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ [٥٣]

وللعبد معاني كثيرة منها:

١– العفة : وتعني الصبر عن شهوة الفرج والعين المحرمة.

---

(٤٧) سورة الرعد: آية ٢٢ .

(٤٨) سورة البقرة: آية ٤٥ .

(٤٩) سورة آل عمران: آية ٢٠٠ .

(٥٠) سورة الأنفال: آية ١٥ .

(٥١) سورة محمد آية ٣٣ .

(٥٢) سورة آل عمران: آية ١٣٩.

(٥٣) سورة ص: آية ٤٤ .

٢- شرف النفس: وهو صبر عن شهوة البطن.

٣- الزهد: صبر عن فضول العيش.

٤- القناعة: صبر على القدر الكافي من الدنيا.

٥- الحلم: صبر عن إجابة داعي الغضب.

٦- الشجاعة: صبر عن داعي الفرار والهرب.

٧- صبر عن إجابة داعي الانتقام.

ومن هنا ندرك كيف علق القرآن الفلاح على الصبر وحده قال تعالى : ﴿ ﴾[٥٤].

وترجع عناية القرآن الكريم البالغة بالصبر إلى ما له من قيمة كبيرة في الحياتين الدنيا والآخرة، فليس هو من الفضائل الثانوية، بل من الضرورات اللازمة التي لا انفكاك للإنسان عنها، فلا نجاح في الدنيا ولا نصر ولا تمكين إلا بالصبر ولا فلاح في الآخرة ولا فوز ولا نجاة إلا بالصبر.

فلولا صبر المزارع والدارس والمقاتل والقائد وغيرهم ما ظفروا بمقاصدهم.

قال صلى الله عليه وسلم: « إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ثم سائر الناس على قدر دينهم فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه ».[٥٥]

([٥٤]) سورة الإنسان : آية ١٢.

([٥٥])المقدسي ، أبو عبد الله، محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، الأحاديث المختارة، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤١٠، ط-١، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش : ٢٤٦/٣ (١٠٥٣) و ٢٥٣/٣ ، ١٠٥٨). وقال إسناده صحيح.

وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء ؟ قال: « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى العبد على حسب دينه، قال: فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على وجه الأرض وما عليه خطيئة ».

ضمن هذه المفاهيم وغيرها أكد الخليفة للقائد أبي عبيدة بضرورة الصبر حتى يفتح الله عليه بالنصر، وهذا ما حصل.

٦– وجه الخليفة رضي الله عنه القائد أبا عبيدة بالتوجيهات والتوصيات التي كانت من أسباب النصر ومنها:

آ – الاستعانة بالله عند ملاقاة العدو.

ب – الصدق مع الله في النوايا والقول والفعل.

جـ – الدعاء. وكما هو معلوم أهميته التي ذكرت في الرسائل السابقة ولكن في هذه الرسالة بصره بدعاء خاص، نصه في متن الرسالة عله كان سبباً مهماً في نصرة المسلمين. [اللهم إنك الناصر لدينك، والمعز لأوليائك قديماً وحديثاً، اللهم فتول نصرهم، وأظهر فلجهم ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، وكن الصانع لهم، والدافع عنهم برحمتك، إنك الولي الحميد].

الرسالة الخامسة

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح:

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنه قد بلغني كتابك تذكر إعزاز الله أهل دينه، وخذلان أهل عداوته، وكفايته إيانا مؤنة من عادانا، فالحمد لله على إحسانه إلينا فيما مضى، وحسن صنيعه لنا فيما غبر[٥٦] ، الذي عافى جماعة المسلمين، وأكرم بالشهادة فريقاً من المؤمنين، فهنيئاً لهم برضا ربهم، وكرامته إياهم، ونسأله ألا يحرمنا أجرهم، وألا يفتننا

(٥٦) غبر الشيء كدخل : نقى ومضى ، ضد. تاج العروس : ١٨٦/١٣

بعدهم، فقد نصحوا لله، وقضوا ما عليهم، ولربهم كانوا يعملون، ولأنفسهم كانوا يهتدون.

وقد فهمت ما ذكرت من الأرض التي ظهر عليها وعلى أهلها المسلمون، فقالت طائفة: نقر أهلها على أن يؤدوا الجزية إلى المسلمين، ويكونوا عمار الأرض، وقالت طائفة: نقتسمهم، وإني قد نظرت فيما كتبت إليّ من هذا، فغرق رأيي فيما سألتني عنه ، إلا أني قد رأيت أن تقرهم، وأن تحمل الجزية عليهم، وتقسمها بين المسلمين، ويكونوا عمار الأرض، فهم أعلم بها، وأقوى عليها من غيرهم، أرأيتم لو أنا أخذنا أهلها واقتسمناهم ، من كان يكون لمن يأتي بعدنا من المسلمين ؟ والله ما كانوا إذن ليجدوا إنساناً يكلمونه ، ولا يكلمهم، ولا ينتفعون بشيء من ذات يده، وإن هؤلاء يأكلهم المسلمون ما داموا أحياء ، فإذا هلكنا وهلكوا أكل أبناؤنا أبنائهم أبداً ما بقوا، وكانوا عبيداً لأهل الاسلام أبداً ما دام دين الاسلام ظاهراً، فضع عليهم الجزية ، وكف عنهم السبي ، وامنع المسلمين من ظلمهم ، والإضرار بهم، وأكل أموالهم إلا بحقها))[٥٧].

مناسبة الرسالة :

كتب أبي عبيدة بن الجراح رسالة الى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يبين فيها نصر الله للمسلمين ، وفتح الله عليهم بأرض الروم . وأراد أن يأخذ رأيه في توزيع هذه الأرض . هل يؤدي أهلها الجزية ويكونوا عُمار الأرض. أو يقتسموا هذه الأرض مع المسلمين.[٥٨] فأجابه الخليفة بهذه الرسالة.

([٥٧]) فتوح الشام ، ص: ١٢٤.

([٥٨]) المصدر نفسه ، ص: ١٢٣.

وكانت رسالة أبي عبيدة إلى عمر رحمهما الله: ((بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: فالحمد لله الذي أنزل على المسلمين نصره وعلى الكافرين رجزه، أخبر أمير المؤمنين أصلحه الله أنا لقينا الروم، وقد جمعوا لنا الجموع العظام، فجاءونا من رءوس الجبال وأسياف البحار يرون أن لا غالب لهم من الناس، فبرزوا إلينا وبغوا علينا وتوكلنا على الله تعالى، ورفعنا رغبتنا إلى الله، وقلنا حسبنا الله ونعم الوكيل، فنهضنا إليهم بخيلنا ورجلنا، وكان القتال بين الفريقين ملياً من النهار، أهدى الله فيه الشهادة لرجال من المسلمين رحمهم الله منهم عمرو بن سعيد بن العاص، وضرب الله وجوه المشركين وأتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم، حتى اعتصموا بحصنهم وانتهب المسلمون عسكرهم وغلبوا على بلادهم وأنزلهم الله من صياصيهم وقذف الرعب في قلوبهم، فاحمد الله يا أمير المؤمنين أنت ومن قبلك من المسلمين على إعزاز الدين، وإظهار الفلج على المشركين، وادع الله لنا بتمام النعمة والسلام عليك.

ولما رأى أهل فحل أن أرض الأردن قد غلب عليها المسلمون سألوا الصلح على أن يعفي لهم عن أنفسهم وأن يؤدوا الجزية ومن كان فيهم من الروم إن أحب لحق بالروم وخلي بلاد الأردن وإن أحب أن يقيم ويؤدي الجزية أقام فصالحهم المسلمون وكتبوا لهم كتابا وخرج منهم من كان أقبل من الروم في تلك السنة وتبقى معهم من كان تبنبك قبل ذلك بالبلد واتخذ الضياع وتزوج بها وولد له فيها فأقاموا على أن يؤدوا الجزية هم وسائر من كان معهم في الحصن.

وأما من عداهم من أهل الأردن أهل الأرض والقرى فاختلف فيهم)) .[٥٩]

(٥٩) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله، ٢٠٨/٣.

التحليل

١ – الخليفة رضي الله عنه بعد أن حمد الله على نصر المسلمين بدأ بالثناء على الشهداء الذين أستشهدوا في هذه المعركة من أجل عقيدتهم. والشهيد في الاسلام له منزلة عظيمة ، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم والسنة النبوية قال تعالى: ﴿ الأَنفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودِ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طَهَ الأَنبِيَاءِ ﴾[٦٠]

وكذلك قوله تعالى:﴿ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾[٦١]

٢ – من المعلوم أن الأرض التي فتحها المسلمين تعتبر من جملة الغنائم والغنائم يملكها الفاتحون، وهي مصدر من المصادر المالية للدولة المسلمة والأرض المفتوحة عنوه لعلماء المسلمين فيها قولان: الأول تقسم على الجنِد ، والثاني تترك بيد أهلها ويضرب عليها الخراج ، وهذا هو الرأي الراجح والذي ذهب إليه الخليفة. بأن يأخذ الجزية منهم ويكونوا عماراً للأرض كونهم أعلم بها، وأقوى عليها من غيرهم.

٣– أوضح الخليفة رضي الله عنه للقائد أبي عبيدة أن يكف عن السبي، وأن يمنع المسلمين من ظلم الناس والإضرار بهم. وأكل أموالهم إلا بحقها. [٦٢]

وهذه الرؤية الشرعية الصحيحة للإسلام في أوقات الحروب والسلم.

الرسالة السادسة

(٦٠) سورة آل عمران، الآية: (١٦٩).

(٦١) سورة النساء، الآية: (٦٩).

(٦٢) فتوح الشام (١٢٤) .

« أما بعد : فقد بلغني كتابك تأمرني فيه بحمد الله على ما أفاء الله علينا من الأرض، وفتح علينا من القلاع، ومكن لنا في البلاد، وصنع لنا ولكم وأبلانا وإياكم من حسن البلاء، فالحمد لله حمداً كثيراً ليس له نفاذ، ولا يحصى له تعداد، وذكرت أنك وجهت الخيول نحو البلاد التي فيها ملك الروم وجموعهم، فلا تفعل، وابعث إلى خيلك فاضممها إليك، وأقم حتى يمضي هذا الحول، ونرى من رأينا ونستعين بالله ذي الجلال والإكرام على جميع أمورنا. والسلام». [٦٣]

مناسبة الرسالة :

كتب أبو عبيدة رسالة إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوضح له فيها أنه بفضل الله تعالى دخل المسلمون مدينة حمص، وبين له طبيعة هذا النصر، وأخبره بأنه وجه الخيول نحو البلاد التي فيها ملك الروم وجموعهم. فأجابه الخليفة رضي الله عنه بهذه الرسالة. [٦٤]

وكان نص رسالة أبي عبيدة:

« لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي عبيدة بن الجراح. سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد فأحمد الله الذي أفاء علينا وعليك يا أمير المؤمنين أفضل كورة بالشام، أكثرها أهلا وقلاعاً وجمعاً وخراجاً، وأكبتهم للمشركين كبتاً، وأيسره على المسلمين فتحاً، أخبرك يا أمير المؤمنين أصلحك الله أنا قدمنا بلاد حمص، وبها من المشركين عدد كثير، والمسلمون يزفون إليهم ببأس شديد، فلما دخلنا بلادهم ألقى الله الرعب في قلوبهم ووهن كيدهم وقلم أظفارهم، فسألونا الصلح وأذعنوا بأداء الخراج فقبلنا منهم وكففنا عنهم، ففتحوا لنا الحصون واكتتبوا منا الأمان، وقد وجهنا الخيول إلى الناحية

([٦٣]) فتوح الشام ، ص١٢٩.

([٦٤]) المصدر نفسه ، ص ١٢٩ .

التي بها ملكهم وجنوده. نسأل الله ملك الملوك وناصر الجنود أن يعز المسلمين بنصره وأن يسلم المشرك الخاطئ بذنبه والسلام عليك)). [٦٥]

التحليل : -

١ – لم ير الخليفة بأساً بقول أبي عبيدة فاحمد الله ... بل استجاب له، وقال: الحمد لله، وهذا دليل على التواضع وعدم الظن السيئ من القائد بجنده .

ولم يوافق الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على إرسال الخيول نحو البلاد التي فيها ملك الروم؛ لاعتبارات معينة يقدرها الخليفة، رأى من المصلحة عدم التوجه في الوقت الحاضر إلى ملك الروم.

٢ – أمر الخليفة قائده أن يوحد الصف ويضم الخيول بعضها إلى بعض. ويقضي هذا الحول، حتى يرى الخليفة من أمره. وربما كان رأي الخليفة مطلوباً لهذهِ المرحلة.

٣– من دلالة هذه الرسالة الامتثال الكامل من قبل أبي عبيدة بكل أوامر الخليفة، فلم يناقش ويقول لماذا، أو أنا صاحب القرار... بل أمتثل الامتثال الكامل لرأي الخليفة ، وهذه من صفات القائد المسلم، وأحد أسرار الانتصار في المعارك.

الرسالة السابعة

((من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبيدة بن الجراح، وإلى الذين معه من المهاجرين والأنصار، والتابعين بإحسان، والمجاهدين في سبيل الله، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنه بلغني توجهكم من أرض حمص إلى أرض دمشق، وترككم بلاداً قد فتحها الله عليكم، وخليتموها[٦٦] لعدوكم وخرجتم منها طائعين فكرهت هذا من رأيكم وفعلكم،

([٦٥]) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ٣/٢١٣ – ٢١٤.

([٦٦]) في الأصل (وفليتموها) بالفاء وهو تحريف. وينظر: الإكتفاء من مغازي الرسول: ٣/٢٢٦.

وسألت رسولكم: أعن رأى من جميعكم كان ذلك ؟ فزعم أن ذلك كان من رأى خياركم وأولي النهى[٦٧] منكم ومن جماعتكم، فعلمت أن الله عز وجل لم يكن ليجمع رأيكم إلا على توفيق وصواب ورشد في العاجلة والعاقبة، فهون ذلك علىَّ ما كان دخلني من الكراهية قبل ذلك لتحولكم[٦٨] ، وقد سألني رسولكم المدد لكم ، وأنا ممدكم قبل أن يُقرأ عليكم كتابي هذا، واشخص إليكم المدد من قبلي إن شاء الله، وأعلموا أنه ليس بالجمع الكثير كنا نهزم الجمع الكثير، ولا بالجمع الكثير كان الله ينزل النصر عليهم، ولربما خذل الله الجموع الكثيرة، فوهنت وفلت وفشلت، ولم تغن عنهم فئتهم شيئاً، ولربما نصر الله العصابة القليلة عددها على الكثير عددها من أعداء الله ، فأنزل الله عليكم نصره، وعلى المشركين من أعداء الله وأعداء المسلمين بأسه ورجزه ، والسلام عليكم)).[٦٩]

مناسبة الرسالة : -

كتب أبو عبيدة بن الجراح رسالة إلى الخليفة عمر بن الخطاب يوضح له أن المعلومات الاستخباراتية المتوفرة لديه، أن الروم قد توجهوا لقتال المسلمين ، وجمعوا لهم من الجموع الكثيرة ، وقد استشار المسلمين بهذا الموضوع فكان رأي المسلمين أن لا يقاتلوهم وينتحوا عنهم، فطلب المدد ورأي الخليفة بذلك [٧٠] فأجابه الخليفة رضي الله عنه بهذه الرسالة.

التحليل : -

١ – الخليفة رضي الله عنه كره توجه القائد أبي عبيدة ومعه المسلمين من أرض حمص إلى أرض دمشق بعد أن فتحها الله عليهم لاعتبارات يقدرها الخليفة، منها أن العدو قد يدخلها وبالتالي تضيع فرصة منحها الله للمسلمين.

---

(٦٧) النهى : العقل يكون واحداً وجمعاً ----- كفرصة. ينظر : لسان العرب : ٣٤٦/١٥

(٦٨) في الأصل (لتحويلكم) وهو تحريف.

(٦٩) فتوح الشام ، ص:١٤١.

(٧٠) المصدر نفسه ، ص: ١٣٨.

٢ – بعد أن علم الخليفة (رضـي الله عنـه) أن قرار توجه القائد أبـي عبيدة من

(حمص) إلـى دمشـق كـان قـراراً جماعيـاً، وهـو رأي خيـار القـوم وأهـل العقد والحل. هـون عليـه الأمـر ودعـا لهـم بـالتوفيق والصـواب ومـن دلالات هـذا مـا يأتي:

آ – إن رأي الجماعـة هـو المطلـوب فـي اتخـاذ القـرار. قـال صـلـى الله عليه وسلم: « يد الله مع الجماعة » (٧١)

ب– لـم يتخـذ القائـد أبـي عبيـدة هـذا القـرار لوحـده إلا بعـد أن استشـار أولـي النهـي وأصـحاب الـرأي مـن المسلمين، وهـذا يـدل علـى عـدم اسـتبداد القائـد فـي اتخاذ القرار، وهذه سمة القادة المسلمين عِبر كل التاريخ الإسلامي.

٣ – أوضـح الخليفـة بعـد أن وافـق علـى إمـداد جـيش المسـلمين حقيقـة مهمة وهي أن النصـر لـيس بـالجمع الكثيـر، وربمـا خـذل الله الجمـوع الكثيـرة، وإنمـا يتحقق النصـر مـع الفئـة القليلـة، وفـي شـريعتنا دلائـل كثيـرة تؤيـد ذلـك. قـال تعـالـى: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَة آلِ عِمۡرَان النِّسَاءِ ﴾ (٧٢) وفـي غـزوة بـدر كـان النصـر للمسـلمين مـع أن عـدد المسـلمين كـان ٣١٤ مقاتـل فقـط وعـدد المشركين أكثر من ١٠٠٠ مقاتل .

٤ – كمـا هـو معـروف عـن الخلفـاء يكثـرون الـدعاء وهـذا مـا قـام بـه الخليفـة رضـي الله عنـه بالـدعاء بالنصـر للمسـلمين. وأهميـة الـدعاء بيناهـا فـي الرسائل الماضية.

(٧١) سنن الترمذي: ٤/٤٦٦ (٢١٦٦). وقال أبو عيسى: " هذا حَدِيثٌ حسن غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ من حديث بن عَبَّاسٍ إلا من هذا الْوَجْهِ

(٧٢) سورة البقرة : الآية (٢٤٩) .

الرسالة الثامنة

« أما بعد: فقد قدم عليَّ أخو ثمالة بكتابك يخبرني فيه بنفير الروم إلى المسلمين براً وبحراً، وبما جاشوا عليكم من أساقفتهم وقسيسهم ورهبانهم، وإن ربنا المحمود عندنا ، والصانع لنا، والعظيم ذا المن والنعمة الدائمة علينا، قد رأى مكان هؤلاء الأساقفة والرهبان حيث بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق، وأعزه بالنصرة، ونصره بالرعب على عدوه، وقال – وهو لا يخلف الميعاد: ﴿ ٱلنَّسَٰٓءُ ٱلۡمَآئِدَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ٱلۡأَعۡرَافِ ٱلۡأَنفَالِ ٱلتَّوۡبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ ٱلرَّعۡدِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡحِجۡرِ ٱلنَّحۡلِ ٱلۡإِسۡرَآءِ ﴾[٧٣] فلا تهولنك كثرة ما جاءك منهم، فإن الله منهم بريء، ومن برئ الله منه كان قمناً [٧٤] أن لا تنفعه كثرة، وأن يكله الله إلى نفسه ويخذله، ولا توحشك قلة المسلمين في المشركين فإن الله معك، وليس قليلاً من كان الله معه، فأقم بمكانك الذي أنت به حتى تلقى عدوك وتناجزهم، وتستظهر بالله عليهم، وكفى به ظهيراً ووليا ونصيراً، وقد فهمت مقالتك: (احتسب أنفس المسلمين إن هم قاموا، ودينهم إن هم تفرقوا ، فقد جاءهم ما لا قبل لهم به، إلا أن يمدهم الله بملائكته، ويأتيهم بغياث من قبله، وأيم الله لولا استثناؤك بهذا لقد كنت أسأت ولعمري إن أقام لهم المسلمون وصبروا فأصيبوا، لما عند الله خير للأبرار. ولقد قال عز وجل: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ﴾[٧٥] ، فطوبى[٧٦] للشهداء،

([٧٣]) سورة التوبة، الآية ٣٣.

([٧٤]) القمين كأمين ، والقمن ككتف وجبل: الخليق الجدير (والمحركة لا تثنى ولا تجمع). ينظر : تاج العروس : ١٨/٣٦

([٧٥]) سورة الأحزاب، جزء من الآية: ٢٣.

([٧٦]) الطوبى: الحسنى والخير. ينظر : لسان العرب : ٥٦٥/١.

وإن لمن عقل عن الله ممن معك من المسلمين لأسوة بالمصرعين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواطنه، فما عجز الذين قاتلوا في سبيل الله، ولا هابوا الموت في جنب الله، ولا وهن الذين بقوا من بعده، ولا استكانوا لمصيبتهم، ولكنهم تأسوا بهم، وجاهدوا في الله من خالفهم منهم، وفارق دينهم، ولقد أثنى الله على قوم بصبرهم، فقال: ﴿ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ الحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ القَمَرِ ﴾ ﴿ الوَاقِعَةِ الحَدِيدِ المُجَادِلَةِ الحَشْرِ المُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الجُمُعَةِ المُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلاَقِ التَّحْرِيمِ المُلْكِ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ نُوحٍ الجِنِّ المُزَّمِّلِ المُدَّثِّرِ ﴾[٧٧] فأما ثواب الدنيا فالغنيمة والفتح، وأما ثواب الآخرة فالمغفرة والجنة.

وأقرأ كتابي هذا على الناس، ومرهم فليقاتلوا في سبيل الله، وليصبروا كما يؤتيهم الله ثواب الدنيا، وحسن ثواب الآخرة.

فأما قولك: إنهم قد جاءهم ما لا قبل لهم به، فإن لا يكن لكم بهم قبل، فإن لله بهم قبلاً، ولم يزل ربنا عليهم مقتدراً، ولو كنا والله إنما نقاتل الناس بحولنا وقوتنا وكثرتنا ، لهيهات ما قد أبادونا وأهلكونا، ولكن نتوكل على الله ربنا، ونبرأ إليه من الحول والقوة، ونسأله النصرة والرحمة، وإنكم منصورون إن شاء الله على كل حال، فأخلصوا لله نيتكم، وارفعوا إليه رغبتكم، واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)) .[٧٨]

مناسبة الرسالة:

عندما خرج أبو عبيدة من دمشق بالمسلمين إلى الأردن، جاشت الروم على المسلمين، وأعدوا العدة الكبيرة لحرب المسلمين. فأشار المسلمون على

([٧٧]) سورة آل عمران، الآية ١٤٦-١٤٨.

([٧٨]) فتوح الشام ، ص١٦٢.

أبي عبيدة أن يرسل رسالة إلى الخليفة رضي الله عنه يوضح له الأمر ويطلب منه إرسال المدد للمسلمين. [٧٩] فكتب الخليفة رضي الله عنه هذه الرسالة.

التحليل :

١– إشراك رجال الدين من الأساقفة والرهبان، وإخراجهم إلى القتال، قد يحمل معنيين الأول اعتقاد الروم بأن هؤلاء مقربون عند الله، وبالتالي سوف يمدهم بالنصر، والثاني فيه إشارة إلى كثرة العدد، حيث أن الناس الذين شأنهم الوعظ والتعليم والفتوى ... جاءوا للقتال... وهنا يذكر الخليفة قائدة بأنه لا تفكروا بشيء من ذلك فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الذين يدعون رجال دين، والله تعالى يعلم موقعهم وحالهم، واعلموا أن دين الإسلام هو دين الحق، وما سواه باطل، وهذا لا يرضي المشركين؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ النِّسَاءِ المَائِدَة الأَنْعَام الأَعْرَاف الأَنْفَال التَّوْبَة يُونُس هُود يُوسُف الرَّعْد إِبْرَاهِيم الحِجْر النَّحْل الإِسْرَاء ﴾[٨٠]

٢ – لم تكن كثرة العدد وقوة السلاح وحدها في يومٍ من الأيام هي الغالبة، فإن الله ناصر المؤمنين وخاذل أعداء الدين والله منهم بريء. ومن كان الله منهم بريئاً لا تنفعه كثرته وسيخذله الله. والذي يطلع على فتوحات المسلمين يجد أنهم في أغلبها كانوا أقل عدداً وعدة من عدوهم، ومع هذا كان النصر حليفهم؛ لما امتازوا به من إخلاص النية لله تعالى، وتقواهم له في حروبهم.

٣– من عوامل النصر في المعركة الروح المعنوية لدى القائد والمقاتلين. وعدم التشكيك بقلة العدد؛ لأن من كان الله معه فهو كثير بالعدد والعدة، وهذا ما أراد الخليفة رضي الله عنه أن يذكر به القائد أبا عبيدة.

([٧٩]) الواقدي – فتوح الشام ، ص ١٦٠.

([٨٠]) سورة التوبة : الآية (٣٣) .

٤– أكد الخليفة رضي الله عنه للقائد أبي عبيدة على ثلاثة مسائل:

الأولى – الصبر : والصبر بشكل عام له منزلة كبيرة، وتعظم منزلته حين الجهاد في سبيل الله، وكان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، يتحلون به في المعارك. وفي القرآن الكريم وردت آيات كثيرة فيه منها، قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ [٨١] وكذلك قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم:﴿ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الِانفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الِانشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَىٰ الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ ﴾ [٨٢] وقد قدم الله الصبر حتى على الصلاة ، قال تعالى: ﴿ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنسَانِ الْمُرْسَلَاتِ ﴾ [٨٣] لأن العبادة في حد ذاتها تحتاج إلى صبر للقيام بها.

فإذا علمت أن جائزة الصبر الجنة. فالصبر في مناجزة العدو من العبادة التي جائزتها الجنة. وبهذا أوصل الخليفة هذه المفاهيم للقائد وجنوده حتى ربحوا المعركة.

الثانية – التوكل : من عوامل النصر في المعارك هو التوكل على الله، التوكل الخالص والاستعانة به وهذه من صفات المؤمنين الصادقين قال تعالى: ﴿ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ ﴾ [٨٤] . وهذا المفهوم أكد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال: « أعقلها وتوكل »

([٨١]) سورة البقرة : الآية (١٥٥) .

([٨٢]) سورة الأحقاف : الآية (٣٥) .

([٨٣]) سورة البقرة : الآية (٤٥) .

([٨٤]) سورة الطلاق: الآية : (٣) .

[٨٥] فالمسلم إن أخذ بالأسباب عليه التوكل على الله فهو ناصره ، وهذا ما أراد الخليفة رضي الله عنه أن يذكر به القائد وجنوده .

الثالثة– النية : – إن الأصلَ في أي عمل هو النية الخالصة لله تعالى فلقد أوضح الخليفة رضي الله عنه للقائد وجنوده بأن يخلصوا النية في هذه المعركة لله مهما قل عددهم وكثر عدد المشركين. ومن أخلص النية لله تعالى نصره وأعطاه على نيته قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». [٨٦]

الرسالة التاسعة

((أن يقيم خالد ويعقله بعمامته ،وينزع عنه قلنسوته، حتى يعلمهم من أين إجازة الاشعث :امن ماله أم من اصابة أصابها؟ فإن زعم أنها من إصابة أصابها ، فقد أقر بخيانته ،وإن زعم أنها من ماله أسرف ،وأعزله على كل حال ،وأضمم إليك عمله))

مناسبة الرسالة :

([٨٥]) في صحيح ابن حبان٢/٥١٠ (٧٣١) قَالَ أَبُو حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعْقُوبُ هَذَا هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ مَشْهُورٌ مَأْمُونٌ. وفي سنن الترمذي: ٦٦٨/٤ (٢٥١٧) قال أبو عيسى: " وَهَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ من حديث أَنَسٍ لَا نَعْرِفُهُ إلا من هذا الْوَجْهِ وقد رُوِيَ عن عَمْرِو بن أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا " . ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي ، (ت : ٣٥٤هـ) ، صحيح ابن حبان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

([٨٦]) صحيح البخاري : ٦/١.

بعد أن فتح خالد بن الوليد (قنسرين) سنة (١٧ هـ) أصاب أموالاً كثيرة ، وقد أجاز خالد بن الوليد (الأشعث بن قيس) بعشرة آلاف. فكتب الخليفة عمر بن الخطاب هذه الرسالة إلى أبي عبيدة يستوضح الأمر ويعطي التوجيه الكامل حول ما حصل.

التحليل : –

١ – حرص الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أموال المسلمين وعدم الإسراف في الإنفاق، دفعه إلى التشديد في بيان أوجه الصرف.

٢ – عَدْلُ الخليفة رضي الله عنه جعله يحاسب كل واحد، سواء كان راعٍ أو من الرعية.

٣ – الإجراء الحازم بعقل خالد بن الوليد بعمامته، ونزع قلنسوته حتى يُعلمهم من أين أجاز الأشعث. رسالة واضحة لكل القادة ومنهم أبي عبيدة بالحرص على أموال المسلمين وعدم الإسراف في إنفاقها.

٤ – أخبر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذه الرسالة، أنه في حالة إنفاق المال مما أصابه فقد أقر بخيانتهِ. وإن زعم خالد بن الوليد أنه أنفق المال من ماله الخاص فقد أسرف، وبهذا أعطى الحلول اللازمة لأبي عبيدة في كيفية التصرف مع هذه الحالة.

٥ – من دلائل هذه الرسالة هو عدم تولي قيادة الجيش لشخص مجرد وجود شبهة عليه، على الرغم من معرفة الخليفة رضي الله عنه بهذا الرجل ومدى خدمته للإسلام والمسلمين.

الرسالة العاشرة

((سلام عليك، أما بعد فإنه لم تكن شده إلا جعل الله بعدها فرجاً، ولن يغلب عسر يسرين ﴿ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ ﴾)).

مناسبة الرسالة : –

عندما حاصر أهل الشام أبي عبيدة وأصحابه أصابهم الجَهد . فكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الرسالة. [٨٧]

تحليل الرسالة :

١ – أوضح الخليفة (رضي الله عنه) لأبي عبيدة أنه بعد كل شدة وضيق يجعل الله الفرج واليسر. ولن يغلب عُسر يُسريَن ، أي أن الله يبدل المؤمن بعسره يسراً في الدنيا ويسراً في الآخرة، أي فرجاً عاجلاً في الدنيا وثواباً آجلاً في الآخرة .

قال تعالى: ﴿ الشُّورَىٰ الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ ﴾ [٨٨]

روى عن ابن مسعود في تفسير هذه الآية أنه قرأ ذلك وقال (لا يغلب عسر يسرين) ، وسئل أبو العباس عن تفسير قول ابن مسعود ومراده من هذا القول. فقال: قال الفراء: العرب إذا ذكرت نكرة ثم أعادتها بنكرة مثلها صارتا اثنتين، وإذا أعادتها بمعرفة فهي هي، تقول من ذلك: إذا كسبت درهماً فأنفق درهماً، فالثاني غير الأول، وإذا أعدته بالألف واللام فهي هي تقول من ذلك: إذا كسبت درهماً فأنفق الدرهم فالثاني هو الأول ، قال أبو العباس: وهذا معنى قول ابن مسعود لأن الله تعالى لما ذكر العسر ثم أعاده بالألف واللام علم أنه هو ولما ذكر يسراً ثم أعاده بالألف واللام علم أن الثاني غير الأول ، فصار العسر الثاني العسر الأول ، وصار يسر ثانٍ غير يسر بدأ بذكره. [٨٩]

([٨٧]) الطبري . ج ٤ ، ص ٣٢٢ .

([٨٨]) سورة الشرح : الآية (٦) .

([٨٩]) جمهرة رسائل العرب – أحمد زكي ، ١ / ١٨١ – المكتبة العلمية ، بيروت .

٢– أوضح الخليفة رضي الله عنه أنه عليه الصبر والرباط حتى يأتي الله تعالى بالفرج واليسر وأيد كلامه بقول الله تعالى: ﴿ الصَّنَّفِ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ ﴾ [٩٠] فالصبر والمرابطة من العوامل المهمة في كسب المعركة والانتصار على العدو .

الخاتمة

بعد أكمال البحث بعون الله تعالى توصل الباحث إلى أهم النتائج الآتية:

١- الرسالة وسيلة مهمة للتعبير عن الرأي وإيصال المعلومة خاصة في تلك المرحلة التي كانت الرسائل الوسيلة الوحيدة لإيصال الخبر.

٢- الطاعة المطلقة للقائد أبي عبيدة عامر بن الجراح. لكل توصيات وأوامر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). وهذا يدل على التربية الإسلامية لمثل هؤلاء الرجال في كنف الإسلام وتحت راية الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

٣- رسائل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى أبي عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) تضمنت ما يأتي:

أ- رسائل نصح و إرشاد ، والأسلوب الشرعي الصحيح في التعزية.

ب- الخطط العسكرية اللازمة للإنتصار في المعارك ، وهذا ما حصل.

ج- المسائل الفقهية الأزمة في كثير الإشكالات التي تحدث في المعارك ، مثل توزيع الغنائم ، واستغلال الأراضي وغيرها.

د- الحث على الصبر والمثابرة حتى النصر النهائي في سبيل الدين .

٤- بفضل هذا كله.تحقق مراد الخليفة عمر(رضي الله عنه) واتسعت رقعة الدولة الإسلامية. خاصة في بلاد الشام.

([٩٠]) سورة آل عمران : الآية (٢٠٠) .

Conclusion

After the search is completed with the help of God, the researcher to the most important the following results:

1 message is an important means of expression and delivery of private at that point that the messages were the only means of delivering the news information.

2. absolute obedience to the leader of Abu Obeida Amer bin surgeon. Per recommendations and orders of Caliph Omar ibn al-Khattab (may Allah be pleased with him). This shows that the Islamic education of such men within the confines of Islam and under the banner of the Prophet (peace be upon him).

3. Messages Caliph Omar ibn al-Khattab (may Allah be pleased with him) to Abu Abeida (may Allah be pleased with him) included the following:

A advice and guidance messages, legitimate and proper method in the consolation.

(B) necessary to win the battles and military plans, and this is what happened.

C doctrinal matters crisis in many problems that occur in the battles, such as the distribution of the spoils, and the exploitation of land and others.

(D) to urge patience and perseverance until the final victory for the sake of religion.

4. Thanks to this Klh.thakq Murad Caliph Umar (may Allah be pleased with him) and widened the scope of the Islamic state. Especially in the Levant.

المصادر والمراجع

- **القران الكريم**

١- البخاري ، صحيح البخاري كتاب العلم ، باب من جعل لأهل العلم أيام مخصوصة ، المكتب الإسلامي ، إسطنبول، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٢- الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي (ت٢٧٩هـ - ٨٩٢م) ، سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د،ت)

٣- ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي ، (ت : ٣٥٤هـ) ، صحيح ابن حبان ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٤- الزيلعي ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت ٧٦٢هـ) ، نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي ، تحقيق : محمد عوامة ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت –لبنان

٥- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت٣١٠هـ - ٩٢٢م) ، التاريخ ، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)

٦- العدوي، علي الصعيدي العدوي المالكي ، حاشية العدوي ، تحقيق الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت

٧- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم الدمشقي المشهور بابن عساكر (ت٥٧١هـ - ١١٧٥م) ، تاريخ مدينة دمشق المعروف بـ(تاريخ ابن عساكر) ، تحقيق : نشاط غراوي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، دار الفكر ، دمشق ، (١٤٠٤هـ - ١٣٨٤م)

٨- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ) ، السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

٩- الكلاعي ، أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله، والثلاثة الخلفاء ، عالم الكتب، بيروت ١٤١٧، ط-١، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي

١٠- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور المصري (ت ٧١١هـ - ١٣١١م) ، لسان العرب ، دار صادر بيروت للطباعة والنشر ، ط١ (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م)

١١- المقدسي ، أبو عبد الله، محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، الأحاديث المختارة، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤١٠، ط-١، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

١٢- النيسابوري ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (ت ٢٦١هـ) ،صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت

١٣- الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧) ، مجمع الزوائد، دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ، بيروت

١٤- الهيثمي - أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي (ت ٩٧٤ هـ) ، الزواجر عن اقتراف الكبائر ، دار المعرفة ، بيروت

١٥- الواقدي ، حمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (ت : ٢٠٧هـ)، فتوح الشام ، ط١ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، دار الكتب العلمية.

١٦- المباركفوري ، الرحيق المختوم، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحمن صفي الدين (ت:١٣٥٣هـ -١٩٣٤م) ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر

١٧- تعريف النصيحة وأقسامها وكيفتها وأحكامها... في بحث للدكتور سليمان الخلف، منشور في مجلة كلية الإمام الأعظم، العدد الثامن، أيلول ٢٠٠٩.

١٨- صفوت ، احمد زكي ، جمهرة رسائل العرب ، المكتبة العلمية